# إضاءة

## مميزات أسلوبية في شعر مظفر النوّاب

الشاعر العربي الكبير مظفر النوّاب، حالة متميزة واستثنائية في ديوان الشعر العربي المعاصر، له تفرده، وطلقاته الشعرية النافذة، بل وصراخه الحاد الصادق في وجه الأشرار والأنذال، وأصحاب الضمائر الميتة الذين باعوا أرواحهم للشيطان الرجيم، لقاء مكاسب آنية هزيلة، لا تتعدى سوى زيادة أموالهم المكنوزة في المصارف الأجنبية، ثم يفقدونها فيما بعد، ولهوهم الترفي على حساب المجموع، دون الاكتراث بالمصلحة الوطنية، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمصلحة القومية العليا، والتي ستنعكس سلباً أم إيجاباً على الأجيال العربية القادمة.... لذلك لا غرابة أن يتحول المقطع الشعري عند شاعرنا المبدع إلى سكاكين حادة، تمزق الأقنعة وتكشف الزيف أينما وجد، وتعري الألاعيب البهلوانية التي يقصد منها الخداع والتضليل، والتي يؤديها على مسرح الحياة (شلة) من الآفاقين، بهدف شلّ إرادة الأمة في الانطلاق الحضاري والمعرفي وصولاً إلى قمم الكرامة والمجد والشموخ الوطني.

مظفر النواب... شاعر متعدد المواهب متفوق في كل موهبة منها. فهو رسّام، وموسيقي، ومؤلف مسرحي، ويمتاز بصوت غنائي جميل، وهو مثقف على درجة رفيعة ومدهشة من الثقافة العربية والعالمية.. كما أنه أحد فرسان الكلمة الواعية.. الهادفة.. المسؤولة.

أما في رحاب الشعر.. فهو يكتب الشعر باللهجة العراقية العامية. وباعتراف الكثير من الشعراء الشعبيين العراقيين، فهو معلمهم وقدوتهم ومثلهم الأعلى:

مرّينه بيكُمْ حَمَدْ واحْنَهْ إبغطار الليلْ

واسمعنه دك إكهوه

وشمينه ريحة هيل

يا ريل صيح صيحة عشْك يا ريل

هودر هواهم ولَكْ

حذر السنابل كِطَهْ

يابو محابس شَذِرْ خزامات

يا ريل بلله ابغنج من تجزي بآم شاماتْ

ولا تمشي مشية هجر

كلبي بعد ما مات

وهودر هواهم ولكْ حذْر السنابل كطهْ

إذن مظفر النواب.. عدة عبقريات فذة في رجل واحد، وطاقة إبداعيّة خلاّقة، تدفعه بوعي شديد إلى مزاولة كثير من الفنون والعلوم الراقية الصعبة، كعلم ما وراء الطبيعة والخوارق النفسية والظواهر المدهشة. وهو الوحيد بين القمم الشعرية المعاصرة، الذي لم يكتب قصيدة مدح في أحد، بما فيه – هذا الممدوح من مناقب وسجايا. أو بما ليس فيه من مروءات وسجايا نبيلة. كما واستطاع، خلال مسيرته الشعرية أن يتخلص من المنبرية والمباشرة، وصولاً إلى شعر نضالي إنساني، يخاطب الوجدان والعقل والمشاعر العليا، والروح الظامئة للجمال وبرد اليقين، و ذلك من خلال (المساورة) التي يعرفها الشاعر نفسه بما معناه:

((إنها تعني الحديث الداخلي.... ساورتني نفسي مثلا.. وعلى الرغم من أن الإنسان لا ينطقها، إلاّ أنها تبقى قائمة كلغة، بينه وبين نفسه. إنها لغة التأمل الداخلي.. يعني أن يحكي الإنسان ويسر لنفسه بمفردات دون أن ينطقها. الدندنة



obeikandl.com

أيضاً هي نوع من اللغة ليس المقصود منه إيصال شيء بقدر ما المقصود التعبير عن فرح معين.. عن حزن معين)).

لقد استحق الشاعر العربي الكبير مظفر النواب أن نطلق عليه، مدمن التشرد والنفي، وشاعر القضايا الكبرى في تاريخ الأمة العربية، والمؤرخ الأمين لبطولات رائعة قام بتنفيذها كوكبة من المناضلين العرب، لكن التاريخ الرسمي أهملهم ولم يشر إلى بطولاتهم الفردية، التي عبرت عن روح الأمة المكافحة وردود أفعالها العفوية التي تدل على الأصالة وعظمة الانتماء.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المقاطع الشعرية عند مظفر النواب، أضحت تضاهي نصوص كبار المتصوفة أمثال الحلاّج، وابن عربي، والسهروردي:

**دلتني الأشعار عليك..**

**فكيف أدلّ عليك بجمرة أشعاري**

**جعلتني الدمعات كمنديل العرس طريا**

**لا أجرح خداً**

**خذني وامسح فانوسك في الليل**

**نشع بكل الأسرار..**

أو كقوله:

**انقذ مطلقك الكامن في الإنسان**

**فإن مُدى المتبقين من العصر الحجري**

**تطاردني**

**انقذني من وطني**

**إذْ ذاك التف على جسدي الواهن روح المطلق**



obeikandl.com

يتمتع شعر النواب بميزات أسلوبية يحسن التحدث عنها، لاكتشاف الملامح الجمالية والفنية في هذا الشعر، ولتلمس مواضع الضعف إن وجدت، وفي كلا الحالتين تتبدى القيمة الحقيقية لهذا الشعر..ولعلَّ من أهم وأبرز هذه الميزات الأسلوبية:

أ ـ المباشرة وانخفاض درجة المجاز في المقاطع المكرسة للمواجهة السياسية. يواكب ذلك صياغة لغوية مبسطة تقع في مطب العادية والركاكة أحيانا. بينما ترتفع درجة المجاز وتحلق الصور وتتألق اللغة في المقاطع الوجدانية المكرَّسة للمرأة أو للخمر أو للنغمات الصوفية. ويصل الأسلوب إلى توازنه الأجمل لدى الجمع بين الحالتين السابقتين في المقاطع التي يندغم فيها السياسي المباشر بالوجداني الفني بالصور واللغة التعبيرية. وهذه أمثلة على الحالات الثلاث المذكورة:

**مثال أول من الحركة الأولى من الوتريات:**

((وطني علّمني، علمني

أن حروف التاريخ مزورةٌ

حين تكون بدون دماء

وطني علّمني أن التاريخ البشري

بدون الحب عويل ونكاح في الصحراء)).

**مثال ثان: من الحركة الأولى من الوتريات:**

((هل تاب النورس من ثقل جناحيه المكسورين؟

وهل تاب الطبيب الفاغم في رفع امرأة خاطئة؟

فأتوب

هل تاب الخالق من خمر الخلق



obeikandl.com

ومسح كفيه الخالقتين لكل الأوزار الحلوة في الأرض

فتلك ذنوب

تعال لبستان السرّ

أريك الرب على أصغر برعم ورد

يتضوعّ من قدميه الطيب

قدماه ملوثتان بشوق ركوب الخيل

وتاء التأنيث على خفيه تذوبُ

ما دام هنالك ليل ذئب

فالخمرة مأواي

وهذا الجسد الشبقي غريب)).

مثال من قصيدة (حسين مزنر):

(( يا من رأى الله شاحنة ليست تلوي

ويملي انفلات إرادته واكتراثه

كيف تكتشف العدسات الدقيقة ركن الشهادة

في حاملات الوراثة!؟

كيف تفهم تقنية العالم المتحضر،

أعصابنا تتخلل هذا التراب

تـتـنفس بنتٌ

فينبت حوض من الياسمين



obeikandl.com

ويركض طفل

فيشهق بين أصابعه النرجس الغرّ مثل الرنين

ومن عرق القلب

تزقو الشقائق حمراء

عابقة بالشجن

كيف يكتشفون ((الحسين)) من الدهر يأتي بشاحنة

ويزور سفارتهم بالقنابل

بعد قليل يزور العواصم

بعد قليل يزور العواصم..

ب ــ حضور الموروث الثقافي العربي الإسلامي في شعر النواب ويأخذ هذا الحضور أشكالاً مختلفة منها.

١ ـ حضور أسماء بعض الشخصيات التاريخية التي كان لها دور حساس على صعيد الفعل السياسي في مجريات الأحداث في التاريخ العربي الإسلامي. يواكب ذلك حضور أسماء بعض الأماكن التي كانت مسرحاً للأحداث وحضور أسماء بعض المعارك التي دارت رحاها في خضم الصراع السياسي على السلطة. يضاف إلى ذلك الإشارة إلى بعض الأخبار ذات الدلالة الحادة التي برزت في أثناء الأحداث.

فمن الأسماء التاريخية يبرز:

-علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

- وأبو ذر الغفاري.

- والحسين أبو الشهداء.



obeikandl.com

- وأبو سفيان.

- ومعاوية.

- ويزيد.

- وعمرو بن العاص.

- وعثمان بن عفان، رضي الله عنه.

- وحسين الأهوازي، وغيرهم.

- ومن أسماء الأماكن التي كانت مسرحا للأحداث الجسام: كربلاء، والبقعة، والربذة، والأهواز، وبغداد، والبصرة، وغيرها..

- ومن أسماء الوقائع التاريخية. وقعة الجمل، ووقعة صفين و كربلاء، وثورة الزنج، وغيرها...

**من الإشارات إلى الأخبار:**

- حمل رأس الحسين إلى يزيد.

- الشورى وتولية عثمان الخلافة الإسلامية.

- رفع المصاحف على رؤوس الرماح في صفين.

- عمرو بن العاص، وكشف العورة، وغيرها.

وهذا شاهد من الحركة الأولى من وتريات ليلية تجتمع فيه كل هذه العناصر:

**هذا رأس الثورة.**

**يجمل في طبق في قصر (يزيد)**
**وهذه (البقعة) أكثر من يوم سباياك**
**فياالله و للحكّام ورأس الثورة**

**ويقول في قصيدة ((كيف نبني السفينة في غياب المصابيح والقمر)):**



obeikandl.com

كفرت بمن يحملون القواميس في حرب (صفين هذي)

فأول كل العلوم التراب

فمن لا تراب له لا سماء له

فلك وحساب

٢ ـ حضور النص القرآني في شعر النواب

ونلاحظه إما محصوراً بين قوسين، أو مرسلاً في نسيج الجملة الشعرية أو ملوحاً به من خلال مفردة ما أو تركيب لغوي معين.

**أمثلة:**

**مثال أول:** النص محصور بين قوسين: يقول في قصيدة ((ملازم عن المسك وشتائم جميلة)):

((أمة تترافع عنك

فأي قضاء يواجهها

من يدين ((أعدوا لهم ما استطعتم))

ومن ثكلته الثواكل

يلقي الجماهير في السجن قاطبة

من يقيد رسغي غد بالحديد

وقد أزف الانتقام؟!))

حيث تحضر الآية (٦٠) من سورة الأنفال: (( **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون**))



obeikandl.com

**مثال ثان**: النص مرسل في نسيج الجملة الشعرية: يقول في قصيدة ((أيها القبطان)):

((أينه وعد الذين استضعفوا في الأرض

والركض على المسلخ يومياً؟!

وأنا أصرخ يا رب التفت للناس

ما هذه القيادات المنافيح فراغا

تشتكي من سوء هضم

داخل المخ

وتجتر نياما؟!))

حيث تحضر الآية (٥) من سورة القصص: ((**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**))

**مثال ثالث**: يجمع بين النص القرآني المرسل في الجملة الشعرية والنص المحصور بين قوسين:

**يقول في قصيدة ((أيها القبطان))**:

((ببيوت أذن الله بأن يذكر فيها

وكثيراً هيّمتني

((ألم نشرح )) ((والضحى))

((يا أخت هارون ولا أمك قد كانت بغيا))

((زكريا))

((وسليمان بن خاطر)) كان صديقاً نبياً وإماما))



obeikandl.com

حيث تحضر من آيات مختلفى من سورة ((الشرح)) و((الضحى)) و((مريم)).

٣ ـ التلويح من خلال الجملة الشعرية بنص تراثي أو بحقيقة تاريخية أو بخبر:

((مازلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف))

فإنه يلوّح بما ورد في خطبة الإمام علي عليه السلام في الحث على الجهاد وذم القاعدين، حيث يقول: ((فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الصيف قلتم هذه حَمَّارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحرَّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القرّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر والقر فأنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولا رجال))[1]

وحين يقول في الوتريات أيضاً:

((قال إلى أين الهجرة؟

فارتبك الخزرج والأوس بقلبي

ومسحت التنقيط من الحدس

لئلا يقرأني الدرب

وسيطر سلطان نعاس الصبح))

فارتباك الخزرج والأوس بقلب الشاعر يعني اضطراب جوانح الشاعر ملوحاً بما كان عليه الأوس والخزرج في (المدينة) من صراع وتباغض إلى أن جاء الإسلام. فالجملة تحمل طاقة تلويحية تخرج المعنى من محله الفردي الذاتي في قلب الشاعر إلى أبعاد أوسع في التاريخ (( ومسحت التنقيط من الحدس)) تلوح بالتنقيط الأول للقرآن الكريم.

وحين يقول في قصيدة ((ملازم عن المسك وشتائم جميلة)):

---

(١) نهج البلاغة، وعليه شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة الرحمانية بمصر. ص ٧٧.



obeikandi.com

((ثملٌ بالشوارع

أحزانه لا تـنام ولا تستفيق

مسدسه ثقة بالحياة

إذا حاصرته الكآبة كان على نفسه يفرغ النار

ثم يشاهد في نيل واسط طـيراً

توضأ باللازورد الصباحي

نور الشفاعة والسكر في ناظريه

وقلب كثير الخزاريف جمٌ طروبٌ.))

يعلق الشاعر في هامش القصيدة على هذا المقطع مشيراً إلى ما يلوّح به: ((خرج أحد المتصوفة صباحاً إلى نيل واسط ((نهر قديم قرب مدينة واسط العراقية)) فرأى طائراً أبيض في وسط النهر فصاح مبهوراً بهذا الجمال الصباحي:

((سبحان الله، يا لغفلة العباد)).

**جـ ـ نظام التقفية:**

في ما بين أيدينا من شعر مظفر النواب نلاحظ نمطين من التقفية:

النمط الأول: وفيه يلتزم الشاعر بالقافية الموحدة كما في قصيدته ((باللون الرمادي)) المكتوبة على نظام البيت التقليدي من وزن بحر البسيط حيث يلتزم قافية واحدةً.، والقصيدة مطلعها:

**دمشق عدت بلا حزني ولا فرحي  يقودني شبح مضنى إلى شبح**

وكما في قصائده المكتوبة على نظام التفعيلة الواحدة التي لا يخرج فيها على البيت التقليدي إلا من حيث عدد التفعيلات. ففي قصيدة ((وما هم ولكنه العشق)) يلتزم قافية القاف: ومطلع القصيدة:



obeikandl.com

هام

لم يدر

متى أطفأه الشوق

وأين احترقا))

وفي قصيدة ((**اعترافتان في الليل والإقدام على الثالثة**)) يلتزم قافية الفاء والمطلع:

((في الهجر جفاني اللؤلؤ

في الوصل رعاني الصدفُ))

**النمط الثاني من التقفية**: وهو في القصائد التي ينداح فيها المقطع الشعري على عدد كبير من الأسطر إذ نلاحظ أن الشاعر لا يلتزم القافية الواحدة سواءً أفي خواتم المقاطع أم في المقطع الواحد. كما في قصيدة ((وتريات ليلية)) و((قراءة في دفتر المطر)) و((كيف نبني السفينة في غياب المصابيح والقمر)).. بل إن الإحساس بالتقفية يكاد يغيب تماماً في بعض المقاطع كما في المقطع الأول من قصيدة ((كيف نبني السفينة في غياب المصابيح والقمر)):

**د ـ أسلوب التكرار**: ظاهرة تكرار بعض المفردات أو الجمل الشعرية واضحة في شعر النواب. وقد وظف هذا التكرار كتقنية أسلوبية في خدمة أداء المعنى. فهو يستخدم التكرار لأغراض مختلفة أهمها:

١- التكرار لتعميق حضور المفردة في النص أو لتوكيد المعنى الذي تحمله الجملة الشعرية. ففي مطلع قصيدة ((**قراءة في دفتر المطر**)) يقول النواب:

((في الليل

يضيع النورس في الليل

القارب في الليل

وعيون حذائي تشم خطى امرأة في الليل

امرأة ليست أكثر من زورق

لعبور الليل

يا امرأة الليل!

أنا رجل حاربت بجيش مهزوم

ما كنت أحب الليل بدون نجوم))

نلاحظ كثافة حضور مفردة (الليل) وتواترها.. حيث تتكرر سبع مرات في هذا المطلع الذي عدد مفرداته ثلاثون مفردة. وهذا التكرار يسهم عنا في تشكيل مناخ القصيدة. فالشاعر يتسكع في الليل بحثاً عن امرأة ولكن الليل في أعماق ليل آخر حارب فيه الرجل بجيش مهزوم.. إنه الليل الحزيراني وما تلاه.

فإذا ما تابعنا الشاعر في هذا المطلع عرفنا أكثر أي ليل هو الذي كان يخيم عليه حيث يقول في قصيدته التي نشرها عام /١٩٦٩/:

((وأخيراً صافح قادتنا الأعداء

ونحن نحارب

ورأيناهم ناموا في الجيش الآخر

والجيش يحارب

والآن سأبحث عن مبغى أستأجر زورق

فالليل مع الجيش المهزوم طويل))

أما في ((**وتريات ليلية**)) فإن الشاعر يكرر بعض الجمل لاشباع المعنى وتعميقه في نفس المتلقي كما في قوله:



obeikandl.com

((قتلتنا الرده

قتلتنا الرده

قتلتنا الرده

قتلتنا أن الواحد منا يحمل في الداخل ضده))

يأخذ تكرار هذه الجملة الشعرية في القصيدة بُعداً نحيبياً، إن صح التعبير، فالشاعر لا يقول هذه الجملة وإنما يجهش بها متحسساً فداحة فعلها في المصير العربي ومحاولاً غرز هذا البعد في نفس المتلقي.. وظيفة أخرى يقوم بها هذا التكرار حين تتكشف القصيدة عن معنى أوسع للردة.. معنى أوسع مما عرفناه في كتب التاريخ حتى ليخيل إلينا أن في الأمر ردات لا ردة واحدة. وهكذا يكون التكرار مثيراً لتداعي معنى كهذا.

٢- التكرار يساهم في رسم الصورة ويعبر عن الحالة النفسية:

فحين يصل الشاعر إلى الأهواز فاراً مطروداً مشرداً، ويرى من حوله الحياة تتفتح بصباحها ونسائها ونخيلها حول غربته التي تحمل نقاءه وعطشه وشقاءه يتوجه بخطابه إلى الله:

((هذا طينك يا للّه! يموت به العمر

ويشتعل الكبريت

جنونا

هذا طينك.. طينك طينك.. تتقاذفه الطرقات

بليل المنفى والأمطار))

فالشاعر هنا في حالة عري من كل شيء إلا من طينته التي سواها خزاف الوجود وها هو مشرد مشتت مبعثر. وهذا التكرار لكلمة طينك هنا إنما يرسم صورة لهذا الرجل الذي تتقاذفه الأرض ويصف حالته النفسية في قلب هذه البعثرة.

٣- التكرار للتشُّبع من النشوة الوجدانية المبثوثة بالكلمات في سياق ما وخاصة إذا كان هذا التكرار يغني موسيقا النص.. كما في قوله:

((أحمل من وسخ الدنيا

أن النهر يظلُّ لمجراه أمينا

أن النهر يظلُّ .. يظلُّ .. يظلُّ أمينا

أن النهر يظل...))

وهنا نلاحظ تجزيء الجملة الشعرية وتكرار أجزائها.. فكما أن الجملة كاملة تعطي معنى ما فإن أجزاءها يعطي كل منها على حدة معنى خاصاً ويثير ذوقاً خاصاً والتكرار فيها يوزع هذه المعاني والأذواق ويدير شمولها في أثناء النص.

٤- التكرار بعفوية تمهيداً لتوليد كلمة جامعة في تتمة العبارة:

مثال من ((**أيها القبطان**)):

((أنا سكران بمن تخلقهم

من نطفة طاهرة

مثل مياه الصبح

في الخد قناديل من المسك

وفي العين شرود الظبي في الصحرا



obeikandl.com

أنا

أنا سكران بمن

يا رب يا تدري بمن!

لا مني الحب على الحب فأغويت الملاما))

٥- **التكرار الغنائي:** كما في قصيدة ((عروس السفائن))، منها:

((أيا لازوردُ!

أيا لازورد! أيا لازوردُ!!

إذا هزج البحر فالكون زاء منونة

فوقها شدة

فوقها شدة

فوقها ثم مدّ

وللشد من بعد ذلك شدٌ

وللشد شدٌ

وإني على الحبل من مركبي في الظلام أشد))

٦- **التكرار لإعادة تركيب المقطع أو ترتيبه:** إذ يلاحظ أن مظفر النواب قد يكرر في أثناء القصيدة مقطعاً فيعيده محوراً قليلاً عما ورد عليه في المرة الأولى. وأشعر تجاه هذا النوع من التكرار بالتأرجح الذي يستوعب ما سبق ويشحن لانطلاقة جديدة.



obeikandl.com

**هـ- السخرية والتهكم:** برع النواب في رسم صور شعرية كاريكاتيرية، تعتمدُ إقامة علاقات معنوية وفنية بين عناصر متنافرة، بشرط أن ينتج عن هذه العلاقات صورٌ ساخرةٌ مضحكة. وتجلّت أمثلة هذه الحالة في قصائده التي انضوت تحت (شعر النضال السياسي). وعند البحث في هذه الحالة من السخرية لا يجد المرء صعوبة في ردّها إلى أسبابها التي نذكر منها:

إن الشاعر ذو قدرة على اتخاذ موقف السَّاخر اللاذع من موضوع هجائه، وهو لا يريدُ أن يفرط بهذه القدرة لأنها عمادٌ من أعمدة شعره. وبالتالي من أعمدة رؤيته بشكل عام، وإذا كانت هذه السخرية مرتبطةً بشعره السياسي فذلك لأن تناقض(السياسي) مع الشاعر يصلُ حد الانفجار. فلا انسجام بينهما أبداً لِما يمثّله الأول من قامعٍ للحلم، و ما يمثله الثاني من حالم كبير. وعلاقة التضاد بين الاثنين تستدعي ردة فعل ما من الشاعر، وردّة الفعل هذه يجب أن تكون على مستوى صدام الشاعر مع السياسي، أفلا تلبّي السخرية من السياسي هذا الجانب؟ نعم، لأنها تصبح إمعاناً في إظهار صورة السياسي وتجلياته بمظهر التهكم.

المعاناة الكبيرة التي رافقت حياة الشاعر وشعره، في علاقته مع وطنه ومنفاه، سببٌ ثان للسخرية، من حيث أن المأساة تنقلب في ذروتها إلى نقيضها، فتصبح السخرية المرة وجهاً ثانياً للمأساة. ذلكم يشبه رقص الطير المذبوح من الألم.

السخرية أداةٌ من أدوات كشف نقائض العالم، وقناة من قنوات الوعي للامعقولية العالم. فكأنه لا شيء يتبقى من كل هذا الكون الذي يطارد الشاعر ويستلبه، إلاّ أن يكون موضوعاً للسخرية السودائية.

**أمثلة على السخرية:**

مُبَايعٌ وبي خصامْ

كيف اليسارُ كاليمين؟

هكذا الضياء كالظَلامْ

بعض اليسار سيدي به فُصَامْ

نُوضَعُ في العصَّارة كي يخرج منّا النفطُ...

سُدّي المذياع الكلبَ لقد طارت سكرتـنا

قَدمي في الأخبار وقمتِهم

مِعزى بلحىً مهما طيَّبها المسكُ؛

بها رائحة البعرِ

لا أزال أراقبُ هذي الشّبابيكَ

ليس لشيء .. أريدُ أبولُ

ألا تستحي ابنة الكلب من نقطتين ومن شارحَةْ؟

مَسَكُونيَ ثانيةً بملابسي الداخليةِ فوق الحكومةِ

لم يرحموا رغبتي الجارحهْ

المثال الأخير على السخرية قصيدة عنوانها ((صورة زيتية....)) حيث اعتمد الشاعر على تقسيم قصيدته إلى مقاطع ثنائية متناقضة. المقطع الأول لوحة هزليةٌ، مغرقةٌ في سخريتها، والمقطع الثاني يعود إلى وجدان الجسد أو وجدان النفس.

وقد أظهر الشاعر في هذه القصيدة تفوقاً في الكتابة بأسلوبين متناقضين في اللحظة نفسها.لكأنه (الفارابي) الموسيقي الذي عزف فترك القوم نياماً، ثم عزف ثانية فأيقظهم. ومن مقاطع هذه القصيدة نقرأ:

طورا لحية الشيح مكنسة

شغلوها على الكهرباءْ

.....



obeikandl.com

.....

.....

**ويقول في المقطع الذي يليه:**

وأرجوحةٌ بين نخل العراقِ القمرْ

أشتهي صِغَري لأنام بها

في فمي نجمةٌ من حليبٍ

أبوحُ يدي عندهنَّ

وأذرفُ ريقي بإحدى السرُّرْ

وأرمي اشتهائي شباكاً مقطعةً لا تصيدُ

فإني متهمٌ بالنّهَرْ

أرجحتني على الكون أمّي كحلم النوارس

فألتبس الله عندي بكل البَشرْ

❖ **ثم يعود إلى السخرية في مقطع لاحق مباشرة:**

* سادتي سيداتي هنا طرطرَةْ

موجز العاشرةْ:

أمير البلاد المفدّى بحكْم الطوارئ

يلفّ العقال كمروحة الطائرة...

ملاحظة أخيرة على موضع السخرية عند النواب: يمكن أن يزعم الناقد القارئ أن النواب يتمتع بروح مرحة في هجائياته الساخرة. وقدرة على صياغة ما نسميه



obeikandl.com

(النكتة الشعرية) ويمكن أن نقول هنا أنه يعكس بهذه النكتة ثقافة ما يجب ألا يُستهان بها، ثقافة تتشكل في أوساط جمهور الناس المسحوقين الذين يجدون في النكتة سلاحاً يحاربون أداة سحقهم به. وهكذا يفعل الشاعر الذي يقول في هذا المجال:

**(... وخبّرْها بأنّ النّكتَ الآن مرايا)**

إنه إذن واعٍ لما يفعله ويدرك أن نكتة يصوغها بشعره، ستشكل مرآةً تعكس حياةً خربةً صدئةً تستدعي الضحك عليها.

ز- القصة عبر القصيدة: يعتمد النوّاب في عديدٍ من قصائده على حكاية يرويها، فيشكل من أحداثها وأزماتها وأشخاصها وتناقضاتها بناءً شعرياً له طابع ملحمّي. حتى أنه يمكن أن ننتزع من قصائده تلك قصصاً نرويها بمعزلٍ عن القصائد، وقد تكون الذاكرة الشعرية الممتلئة بحياة الطفولة وعذابها سبباً من أسباب هذه السمة حيث يقف الشاعر أمام حياته طفلاً فينقل لنا حكايات من طفولته. كالقصيدة التي يروي فيها كيف كانوا صغاراً يلعبون بالقصب على أنه بنادق تطلق النار. وكان محرماً أن يرمي أحد بندقيتهُ من يده مهما كان الظرف، وإلا فسَيطرد من ساحة اللعب، وقد حدث أن غفل أحد الصغار ورمى بندقيته، فترتّب على ذلك أن طُرد من الساحة، بل ولشدّة خجله لم ينبت له شاربان فيما بعد، وحين يمر الشاعر كبيراً- وقد خط الشيب قلبهُ – على ساحة الصغار نفسها، يرى فيها أولاداً يلعبون كما كان يلعب مع رفاقه. فيرى أن أحدهم قُذف بالنار، فيحتمي ببندقيته القصب ولا يسمح لها أن تفلت من يديه. يسأله الشاعر لماذا فعلت هكذا؟ فيشير الصغير إلى شاربيه. إشارةً إلى أنه لا يريد أن يحصل كما حصل لذلك اللاعب الذي ترك البندقية.

ذلك سبب من أسباب اعتماد الشاعر على الحكاية في داخل القصيدة.

وثمة سبب ثان نزعمُهُ، وهو أن القصّة ببنائها الخاص وذروتها وأزمتها تُعطي بُعداً درامياً للقصيدة يمنحها حيويةً وغنى ونشاطاً دائماً. حتّى لتبدو بعض من قصائده (ملاحم) كما في (جسر المباهج القديمة) وقصة بحّار البحّارين ومغامرات سفره

وصراعه مع العالم والبحر والبحارة المتآمرين. وفي هذه القصيدة تشتبك عناصر كثيرة فيما بينها لتؤلف كلاً هو (دراما) بحّار البحّارين.

## (سوف أحدثكم في الفصل الثالث عن أحكام الهمزة

## في الفصل الرابع عن حكّام الردة...)

وما قصيدة (وتريات... ) إلا قصة تسلّله إلى الأهواز والحياة التي تعرّض لها هناك بين الموت والموت. قصة يجتمع فيها العشق مع الطين مع السياسة مع التراث مع السجن مع الأمة مع البدو مع...

ح- في حالات الوجد الارتقاء بالحواس، تختلط لدى الشاعر الصوفي الأفعال بأزمنتها المختلفة ، والمسميات والوقائع وتتداخل الألوان ووظائف الحواس. فترى اليد، وتفكر الكؤوس، وتقذف الجنة في النار. كل ذلك يجتمع في لوحة لا هي منسجمة ولا هي متناقضة ، إنها تلك النقطة التي تزول فيها الفروق بين المعقول واللامعقول، بين الروح والجسد، والكفر والإيمان، تلك لحظة سريالية تتفجّر أشباحاً وعوالم من غموض وسحرٍ تكتنف قصائد النواب جميعها.

*** بقينا جميعاً أسارى المرايا**

**وظلّ مدى العمرِ متّهماً**

**بافتضاض الكؤوس**

**وشرب الصبايا**

***إن عهرَ الطّهر في السرّة حالةْ...**

***أنا أرى باللمسْ**

*** وصارت كؤوس الكحول تفكّر عني...**



obeikandl.com

ليست هذه ألعاباً في اللغة، لا شك أننا نلمح للوهلة الأولى تفكيكاً للعلاقات بين الأشياء- وهل الشعر غير هذا؟- لكن هذا التفكيك ناجمٌ عن تفكير صوفي يرى نقائض العالم كلها كلاً واحداً. فهذا الصوفي الذي يشبه الأسفنجة (تمتص الحانات ولا تسكر) لن يجد فيما بعد هذا الكون أجزاء متفرقةً. بل سوف يراه شمولياً كأنه نبضةٌ من نبضات قلبه.

**ط-** استناد صور الشاعر بشكل عام إلى السريالية. وقد ذكرنا في الفقرة السابقة شيئاً من هذا، وهنا نذكر أن النفس والحلم والذاكرة والخيال، التي هي عناصر أساسية في صياغة الموقف السريالي، متوفرة لدى النواب بغزارة واضحة، إنه كمن يكتب في لحظات الحلم، ولا يتوانى عن أن يشطح في مجازاته وخيالاته إلى مرحلة مغالية. صانعاً بذلك أفقاً خصباً من الأحلام واللاشعورية والضبابية التي تشف عن جوهر لا تشف عنه شمس واضحة. من هنا ذلك الغموض الذي يبرز في وجدانيات النواب، وملاحمه الطويلة، وخمرياته:

*آلمني الجرحُ

*مددتُ بساقي

خرجت قدمي كالرعب من الحلم

وكان لإبهامي عينٌ عمياء.

* وعيونُ حذائي تشتمّ خطى امرأة في الليل.

امرأة ليست أكثر من زورق

لعبور الليل.

* منع الماء وغطّى البستان بسقفٍ



obeikandl.com

فالماء يجيء من الله

إذا منع النهرَ السلطان

أعطى الغربان مديّاً وبنادق

واستنجد أيضاً .. بقيادات البقّ الوطنيّ

وأرضِ الروم.

تلك كانت بعض النظرات في الأسلوب النوابي استجلينا من خلالها الكثير من جماليات شعره.. ولا تدعي هذه النظرات أنها قد أحاطت بكل ما في الأسلوب النوابي من ملامح فنية وسمات جمالية إذ أن الدراسة المستفيضة يمكن أن تضع يدها على ملامح أخرى.. فشعر النواب غني بالميزات الأسلوبية التي تمنحه خصوصية عالية وتفرده كصوت هو نسيج وحده على الساحة الشعرية العربية.

obeikandl.com

obeikandl.com

# مظفر النواب في مرآة الحوار

هذا الحوار الصحفي الذي أجرته الأديبة المرموقة حميدة نعنع، يرسم وبصورة عفوية ملامح الشاعر الكبير، ويسلط حزمة ضوء على شخصيته التي تحظى بتقدير كبير من أبناء الشعب العربي، ومن أناس يتذوقون الشعر العظيم، ويشكلون شرائح اجتماعية مختلفة.

لقد جاء هذا الرسم من خلال مرآة الحوار، أي أن الشاعر يرسم صورته بنفسه وبريشته الساحرة المبدعة، دون (رتوش) أو (زيف) أو (تهويمات سريالية)، ودون أن يستعرض عضلاته الأدبية، من أجل خطف الأضواء، وتذوق نعمة أو نقمة(النجومية)، وهي أجوبة ذكية تحمل وجعاً قومياً، وجراح الشهداء الكبار في التاريخ العربي، و هماً إنسانياً يعني الإنسان العربي أينما كان....

وكما ذكرت في كتابي الذي حمل اسم: (مظفر النواب بين الجرح العراقي ونهر الأسئلة)، فإن آفاق التجربة الشعرية (النوابية) هي تجربة نادرة ومدهشة، أضافت إلى ديوان الشعر العربي الخالد، صفحة جديدة، أقصد معلقة (وتريات ليلية) التي هزت الوجدان العربي من المحيط إلى الخليج، ومن الماء إلى الماء، وأضحت بعض مقاطعها الشعرية، تضاهي نصوص كبار المتصوفة العظام، أمثال: الحلاج، وابن العربي، والسهروردي، وغيرهم....

وفيما يلي النص الكامل للحوار الذي أجرته الأديبة حميدة نعنع مع الشاعر مظفر النواب، الذي نشر لأول مرة في مجلة (الكفاح العربي) بتاريخ ١٩٨٤/١/٢٣م:

obeikandl.com

# الشاعر الجيد هو الذي يعيش في قلب التحدي الكبير

لعله أعمق الشعراء العرب المعاصرين إحساسا بالغربة والضياع، والنفي والتشرد والمطاردة. لا يعرف الاستقرار في مكان.. ينتقل من بلد إلى آخر ودمه على كفه.. ويظل مرتاباً من كل ما يدور حوله، حتى تتأكد له الصورة التي يجليها ببصيرته النافذة المتوترة...

❖ **مظفر النوّاب... هذه المقابلة لن تكون كالمقابلات التقليدية بين صحافي وشاعر.. فأنا بعيدة الآن عن الصحافة.. سوف يكون حواراً بين اثنين، من الذين شردهم عصر النفط العربي في عواصم العالم. إنها رغبة في الخروج من الضلال والحيرة.. في التخلص من الخضوع للمصير المحتوم.. قل لي أين يقف الفنان العربي مما يحصل على الساحة العربية اليوم، ومن بوسعه أن يدرك اختيار الفنان؟**

- قبل الإجابة عن النقطة المركزية في السؤال، والمتعلقة بأين يقف الفنان العربي مما يجري حوله اليوم، أودّ أن أقول إننا إذا كنا نحن الاثنين مشردين في هذا الوطن العربي الكبير، فهذا لا يعني أن المشردين في هذا الوطن أقلية.فمعظم مواطنينا العرب هم مشردون ويخضعون لشتى أنواع النفي والتغريب والقهر. و يوماً عن يوم تزداد رقعة التشرد هذه. فبعد مأساة الفلسطينيين، ها نحن نشهد تشريداً عربياً بالجملة من قطر إلى قطر. والفنان إزاء هذا الوضع، تزداد مشكلته عنتاً وصعوبة. لأن الأنظمة إذا كانت مستعدة للتسامح مع أي مواطن، عاد إليه ((وعيه))، فإنها لا ولن تتسامح مع الفنان الصميمي الذي يزل يناكدها في استمرار، ولأنه كذلك، أي لا يستطيع السكوت على الأوضاع الزرية وكل أشكال الإبادة التي تتم يومياً، فهو يعاني مضاعفاً وخصوصاً.. إنه مطارد في رزقه، وأمنه الشخصي وفي الكلمة التي يقولها، الخ...لذلك هناك غربات مضاعفة بالنسبة إلى الفنان الحقيقي.. وإذا كان التشرد هو إحدى الغربات، فهناك غربات أخرى.. غربة بينه وبين ذاته.. أحياناً لا يستطيع هذا الفنان المجاهرة بآرائه، مهما يكن ثورياً، بسبب أنه مشرد في كل

مكان، كما أن بوحه بأفكاره قد يعرضه للتصفية أحياناً. فالغربة عن الذات هي أشد أنواع الغربات وأقساها.

**❖ هل تشعر بالغربة إلى هذه الدرجة؟**

- نعم أحياناً أهرب من نفسي عبر الفن... الفن بما هو احتجاج على واقع معين. ورسم لواقع جديد نطمح إليه... كما يتم الهروب عبر الدخول بنوع من البلادة العامة التي تلجأ إليها الجماهير أحياناً، تماماً مثلما ترى الآن. والغريب أن بواقي الأنظمة يتساءل الآن عن عدم تحرك الجماهير في أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان.. أين هي هذه الجماهير المعنية بتاريخها؟ أين هو الشارع العربي؟ والحقيقة أن الشارع كان يقابل هؤلاء الحكّام بالبلادة التي يستحقون..كأن في ذلك يحاول أن يتجاهلهم وينكرهم ويرفض أي دعاوى للتحرير على أيديهم، لأنها دعاوى كاذبة أساساً.

**❖ هل هذا يعني أن اللجوء من قبل الجماهير ليس نوعاً من حماية الذات؟**

- لا أبداً.. إنما هو نوع من الاحتجاج الذي يظهر في ظروف معينة، وكأنه هو الشكل الممكن في هذه الظروف. وهذا النوع من الاحتجاج يدمر بشكل مخيف ومرعب عندما ينفجر..لماذا؟ لأنه صامت وأخرس.. حزين ومقموع.. إن احتجاجاً من هذا النوع. لا بدّ من أن نتائجه ستكون أوخم وأفظع على مسببيه.

**❖اسمعني قليلاً: يا غريباً بابه درب الحمى، مفتوحة للريح والأشباح والأعشاب.. هذا الغريب هو أنت.. الغربة عن ماذا ولماذا والانتماء لمن؟ أهو انتماء للسر أم للشعر؟ ولمن ينتمي الشاعر؟**

- الغربة عن كل الأشياء.. عن كل ما حولنا.. لا أعتقد أن ثمة شيئاً طبيعياً في سياق دورتنا العربية الكئيبة هذه.. هل الشاعر ينتمي إلى السر أم إلى الشعر؟؟ الشعر هو السر.. هو سر الأسرار.. وهذه مسألة يدركها عميقاً أولئك الذين هم في عمق العالم الفني.. عالم الشعر.. والفن.. والموسيقى..الخ..

**❖ بقدر ما أنت مفهوم في شعرك السياسي، بقدر ما قصائدك غير السياسية تدخل عوالم، يعسر على الغرباء أن يفهموها. من يمكن أن يكون الحكم على الشاعر. هل هم محبو الشعر المؤهلون لإعطاء رأي قاطع، أم آخرون، ومن هم؟**

- الشعر فن مثل بقية الفنون.. له قواعده وأصوله وأبعاده الخاصة.. وعلى العموم ليس هناك شيء يمكن أن يفهم بشكل عام.. هناك فهم عام بحد أدنى، أو بكلمات أخرى هناك قاسم مشترك، معين بين الفنان والناس عموماً.

على أن جمهور الشعر.. وهو في الإجماع جمهور محدد وخاص يعي هذه القضية- لأنه يتابع قضايا الكتابة والفن الخ- ويستوعب جدليتها، بينما الإنسان العادي، أو رجل الشارع ، لا يعي هذه الجدلية الفنية، وواجبنا تجاهه كشعراء أن نمد كل الجسور التي تساعده على ترتيب فهمه لما نقول.. لأننا نحب أيضاً أن نرى أنفسنا فيه.

**❖ هل العملية عملية خروج إلى رجل الشارع، أم هي استقطاب لرجل الشارع، كي يدخل عوالم الشعر والشعراء؟**

القضية هنا، ليست قضية خروج، أو مجاراة لمفاهيم محددة. إنما هي قضية إحساس، بدور الشعر ووظيفته في الأساس. فالشاعر في رأيي معني بقضية المسيرة الحضارية لشعبه.. إنه هو الذي يرسم طموح هذه المسيرة وحلمها.. وأفقها بشكل عام.. والشاعر الجيد هو الذي يعيش في قلب التحدي الكبير، ويرفع في استمرار، لافتة الإنسان.. الإنسان المعذب المقهور.. فالحساسية.. حساسية الفنان الذي يعيش عصره، ليست قضية مطلقة وغيبية.. إنما لها علاقة مباشرة وأساسية مع الناس، حتى قبل أن تتدرج لتقيم علاقاتها مع أشكال التكوين الأخرى.

**❖ مظفر.. تاريخياً الشعر العربي، منذ الجاهلية، وحتى الآن، هو الذي يأتي إلينا،، عملياً، نحن نجلس على مقاعدنا، ونستمع إلى قصيدة شعر. نطرب ونصفق. ولكن حتى الآن، لم يحصل بالنسبة إلى الشعراء- ما عدا قلة- أن أجبروا الإنسان عينه أن يخرج من ذاته، ويذهب إلى الشعر، بمعنى أنه يفكر بالشعر.. أن يحاول أن يبدع من خلال تلقيه القصيدة، قصيدته الخاصة به.. ما تعليقك؟**

- تاريخ الشعر العربي يؤكد، أن ليس الشاعر باستمرار، هو الذي كان يذهب إلى الجماهير. فثمة أعداد غفيرة كانت تأتي لتسمع شعر الشعراء وتتذوقه وتنفعل به. وظاهرة (سوق عكاظ) أسطع دليل على ذلك. على أنه وفي ظروف معينة، انحصر الشعر في قصور وبلاطات السلاطين والخلفاء.. ومع ذلك ظلت له حرارته..لأن الشعر

بالنسبة إلى العرب لم يكن شيئاً عادياً.. كان إلى حد كبير، (نظام معرفتهم) وعلاقاتهم ولغتهم اليومية.

في عصرنا الراهن، وبسبب من مشاغل الناس، والموت اليومي، الذي يتعرضون له، حصل بعض من فك ارتباطه بالشعر.. فالإنسان إزاء تقونن حياته، يلجأ إلى نوع من البلادة، كي يحافظ على أعصابه وتماسكه.. ويبدو أن (ظاهرة البلادة) هذه بدأت تستشري شيئاً فشيئاً.

في المقابل ما زال بعض الشعراء العرب المحدثين يشكل نقطة جذب بالنسبة إلى الناس. فتذهب إليه، وتنصت إلى شعره. وأعني بهذا البعض أولئك الذين يخاطبون جماهيرهم، بصدق وجرأة واضحة وابتعاد عن أشكال المداجاة والتزلف.. أو ليست ظاهرة ((الشيخ إمام)) مثلاً، ملفتة في هذا المجال؟

❖ **أقصد بالمعنى الفني، فباستمرار كان الشعر العربي شعراً سهلاً.. عندما يستمع إليه إنساننا، يطرب، ويقف عند حدود الطرب، ولا يحاول أن يبدع من خلال تلقيه القصيدة.. أي لا يحاول أن يخرج من ذاته إلى الشعر، ويبذل جهداً من أجل الفهم.. لأشرح قليلاً بعد.. عندما أسمع شعراً لنزار قباني أحس تماماً بالإحساس عينه لدى سماعي قطعة موسيقية شرقية. الطرفان يشكلان لي نوعاً من المتعة الصغيرة السريعة.. وتختفي هذه المتعة بمجرد الانتهاء من سماع القصيدة أو القطعة الموسيقة.. قصيدة من هذا النوع لا تساعدني على الاختراق فيها وتفجير قصيدتي الخاصة بي.**

- هذه الظاهرة لها جانبان: الأول أن هناك عدداً كبيراً من الشعراء العرب المعاصرين ، لا يزال أسيراً لذاتيته، أي أنه يعتقد أن الكرة الأرضية أنما تدور من أجله، وأن ما يجري في العالم من أحداث، هو وحده المقصود بها..والأسير لا يمكن أن يطلق الأسير الأخر(انساننا العربي) ولا يمكن أن يفجر فيه طاقات الإحساس والمشاعر. والجانب الثاني يتعلق بإشكالية المثقفين. فالمثقفون العرب القدامى عندما كانوا يسمعون قصيدة لأبي العلاء أو المتنبي مثلاً، كانوا يتابعونها متابعة تفصيلية وذكية ومفندة.. ولا تهم صعوبة القصيدة، واستغلاقها أحياناً.. كان المثقف القديم

يخرج من ذاته إلى ذاتية الآخرين يحللها بدهاء، ويستخرج ما يستخرجه من عبر للآخرين.

أما بالنسبة إلى مثقفينا العرب المعاصرين.. فمعظمهم لم يستطع أن يتبوأ المكانة التي كان عليها الأسلاف في التأثير والفاعلية. فأغلبهم (متطاولو معرفة) ومكابرون. وهم أيضاً الشعراء والفنانين أسرى ذاتيات (يائسة) و (مضجرة) و(مدعية).. وذات من هذا النوع أنى لها أن تبدع وتؤثر في الواقع (الأسير) الذي كان يعانيه الجميع.. وهذا النوع من الذاتية ينسحب على عالم السياسة أيضاً. فعالمنا السياسي مع الأسف تحركه ذاتيات.. فزيد الفلاني، هو الحاكم بأمره، والأمور جميعاً تسوى بحسب رغبته الشخصية. فحاكم مثل السادات مثلاً هو وحده اتخذ قراراً بزيارة (إسرائيل).. وصار مصير مصر كلها وحتى الأمة العربية، مرهوناً بقراره. تصوري قرار فرد في لحظة معينة، يساوي قرار أمة تعد بالملايين.. مهزلة هذه.. أليس كذلك؟.

**❖ أود أن أسألك عن الإلقاء.. كثير من السامعين أو المشاهدين يتصور أنك (تمسرح) إلقائك القصيدة.. هل هذا صحيح؟**

- في لحظة الإلقاء، أشعر بفرديتي، أو على الأصح أكون مع نفسي أكثر.. ولا أعود أحس أو أرى أحداً أمامي..أشعر بخوف كبير قبل الإلقاء إنه خوف داخلي تحتمه رهبة الشعر والناس على ما يبدو. لكن في اللحظة التي أبدأ فيها قراءة الكلمات الأولى من القصيدة يتبدد هذا الخوف وأشعر كأنني في غياب تام عن كل ما حولي.. ويتحول مشهد الناس أمامي إلى كتلة مجهولة، وعظيمة، في غموضها.. وهذه الكتلة تكتسي صبغة الدهر الأبدية.. وعندما يغني الشاعر مع الأبدية يجيء غنائه أكثر سحراً وتعالياً.. ويتحول الإلقاء – إلقائي-إلى نوع من (المكاشفة الوجدانية)... البعيدة كل البعد عن (سمة التمسرح).

في أثناء إلقائي لقصيدتي: (كيف نبني السفينة) ((دمشق عام ١٩٧٩م)) وصلت إلى مرحلة بكيت فيها على المنصة وظل الجمهور يحاول إنقاذ الموقف مدة تجاوزت النصف ساعة!

❖ **بعضهم يأخذ عليك وضوح شعرك السياسي.. وهذا المأخذ يقودنا للتساؤل حول قضايا الغموض والوضوح في الشعر.**

صحيح أن ثمة وضوحاً سياسياً مباشراً في بعض قصائدي ولكنه وضوح تقتضيه الضرورة الفنية. أريد أن أقول أن التضاد في العمل الفني لابد منه.

❖ **لابد منه لماذا؟ هل طبيعة الموضوع تفرض مثل هذه الضرورة مثلاً؟**

التضاد ضروري لأسباب عدة فيها ما يتعلق بالصراع اليومي أو الصراع داخل بنية العمل الفني عينه.. ففي عالم الألوان مثلاً ثمة صراع.. فاللون الأسود عندما نضعه في مواجهة ألوان جميلة، فإنه يأخذ بعده كلون في طبيعة التشكيل العام.

وفي ديواني (الوتريات) ثمة الكثير من الأجواء التي تسرح فيها مخيلة القارئ ثم تأتي المقاطع، التي تتناول (قابوس) فإذا بها واضحةً وتصرخ بنثريةً تكاد تطلع من الشعر.. وهذه النثرية متقصدة ولها دورها المناسب في حركة القصيدة وصورها وبناءها بشكل عام. والمقصود بذلك أنه في مواجهتنا لعالم الحلم والطموح ثمة عالم قمئ ووسخ ونعانيه ولا بد من زرعه كشهادة للتاريخ شهادة على مرحلة معينة، يعود إليها إنساننا العربي ربما بعد قرن أو قرنين.

❖ **لكن ما يحصل في شعرك أن هناك مباشرة بأكملها؟**

-ليس في شعري قصائد مباشرة بأكملها.

❖ **قصيدة القدس مثلاً؟**

لا أعتقد ففي هذه القصيدة من الجماليات ما لا يحصى. عندما أقول:

في تلك الساعة من شهوات الليل

وعصافير الشوك الذهبية

تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء

وشجيرات البر تفيح بدفئ مراهقة بدوية



obeikandi.com

يكتظ حليب اللوز

ويقطر من نهديها في الليل

وأنا تحت النهدين

إناء

في تلك الساعة حيث تكون الأشياء

بكاءً مطلق،

كنت على الناقة مغموراً بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الضالع بالهجرات

تزود قبل الربع الخالي

بقطرة ماء

هل في هذا النموذج الشعري مباشرةً.. أعتقد أنه لوحة من البناء الجمالي المتتابع الذي يثير شهية الخيال.

.....

.....

.....

❖ **اللغة هل هي قارب توصيل للناس؟**

-التوصيل هو أحد مهمات اللغة.

❖ **ومن المهمات الأخرى؟**

- المساورة.



obeikandl.com

❖ **ماذا تعني كلمة (المساورة)؟**

- إنها تعني (الحديث الداخلي).. ساورتني نفسي مثلاً.. وعلى الرغم من أن الانسان لا ينطقها، إلا أنها تبقى قائمة كلغة، بينه وبين نفسه. إنها لغة التأمل الداخلي.. يعني أن يحكي الانسان ويسر لنفسه بمفردات دون أن ينطقها..(الدندنة) أيضاً هي نوع من اللغة ليس المقصود منه إيصال شيء بقدر ما المقصود التعبير عن فرح معين.. عن حجم معين.. إلخ.

.....

.....

.....

❖ **ماذا عن شعرك العامي. منذ فترة طويلة لم تعد تكتب شعراً عامياً لماذا؟**

- الحقيقة أنني مازلت أكتب بالعامية. لكن ابتعادي عن العراق كوّن لي إشكالية على هذا الصعيد. فالعامية لها علاقة بالفرد العراقي.. في الأهوار، في المستنقعات، في الريف، في المدينة، في أثناء عمله ، وأوقات أفراحه وأحزانه..

ومع ذلك فقد كتبت، ولم يتوفر لي إلقاء هذا الشعر إلا في حلقات خاصة، تضم بعض الأصدقاء والمعارف.

* * *



obeikandl.com

# محطات في حياة الشاعر مظفر النواب

هو مظفر بن عبد المجيد النواب، والنواب تسمية مهنية، قد تكون جاءت من النيابة، أي النائب عن الحاكم، إذْ كانت عائلته في الماضي تحكم إحدى الولايات الهندية.

فهذه العائلة العريقة، بالأساس، من شبه الجزيرة العربية، ثم استقرت في بغداد، لأنها كانت من السلالة المباركة للإمام الورع التقي موسى بن جعفر(الكاظم) عليه السلام، الذي استشهد غيلة بالسم، في زمن الخليفة هارون الرشيد، فهاجرت العائلة ومن يلوذ بها ويشايعها إلى الهند باتجاه المقاطعات الشمالية (بنجاب، لكناو، كشمير).

ونتيجة لسمعتهم العلمية المدوية وشرف نسبهم، أصبحوا حكاماً لتلك الولايات الهندية في مرحلة من المراحل..

وبعد استيلاء الإنكليز على الهند، أبدت العائلة روح المقاومة والمعارضة المباشرة للاحتلال البريطاني الغاشم، فاستاء الحاكم الإنكليزي من موقف العائلة المعارض والمعادي للاحتلال والهيمنة البريطانية.

وبعد قمع الثورة الهندية- الوطنية، عرض الإنكليز على وجهاء هذه العائلة النفي السياسي، على أن يختاروا الدولة التي تروق لهم، فاختاروا العراق، موطنهم القديم ومنبع الإلهام، حيث تغفو أمجاد العائلة العريقة على حلم الحقيقة ونشوة الماضي وعظمته، بالإضافة إلى وجود النجف الأشرف والعتبات المقدسة، وكنوز الآباء والأجداد من نفائس المخطوطات في الفقه والأدب والشعر واللغة، فارتحلوا إلى العراق، ومعهم ثرواتهم الكبيرة، من ذهب ومجوهرات، وتحف فنية نفيسة.

ولد مظفر النواب في بغداد- جانب الكرخ في سنة /١٩٣٤/ في أسرة ثرية ارستقراطية تتذوق الفنون الجميلة والموسيقا وتحتفي بالأدب..

❖ في أثناء دراسته في المرحلة الابتدائية، وكان في الصف الثالث، اكتشف أستاذه في المدرسة الابتدائية، موهبته الفطرية في نظم الشعر وسلامته اللغوية والعروضية...

❖ في المرحلة الإعدادية، أصبح ينشر ما تجود به قريحته في المجلات الجدارية التي تحرر في المنزل، كنشاط ثقافي عملي من قبل طلاب المدرسة.

❖ تابع دراسته في كلية الآداب بجامعة بغداد، في ظروف اقتصادية صعبة، حيث تعرض والده الثري إلى هزة مالية حادة أفقدته ثروته، وسلبت منه قصره الأنيق، الذي كان يموج بندوات فكرية وشعرية، وتقام في ردهاته الرحبة الاحتفالات بالمناسبات الدينية، والحفلات الفنية المتميزة على مدار العام.

❖ بعد سنة/١٩٥٨/، أي بعد انهيار النظام الملكي في العراق ومصرع الملك الشاب، ثم تعيينه مفتشاً فنياً، بوزارة التربية في بغداد، أتاحت له الوظيفة الجديدة، تشجيع ودعم الموهوبين من موسيقيين وفنانين تشكيليين، لئلا تموت موهبتهم وتنتحر في دهاليز الأروقة الرسمية، والدوام الشكلي المقيت.

في سنة/١٩٦٣/، اضطر لمغادرة العراق الجمهوري، بعد اشتداد التنافس الدامي بين القوميين والشيوعيين، الذين تعرضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم، فكان هروبه المثير إلى إيران عن طريق البصرة.. إلاّ أن المخابرات الإيرانية(السافاك) ألقت القبض عليه، وهو في طريقه إلى روسيا، حيث أخضع للتحقيق البوليسي، وللتعذيب الجسدي النفسي، لإرغامه على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها.

❖ في ١٩٦٣/١٢/٢٨، سلمته السلطات الإيرانية إلى الأمن السياسي العراقي، فحكمت عليه المحكمة العسكرية العراقية بالإعدام، إلاّ أن المساعي الحميدة التي بذلها أهله وأقاربه أدت إلى تخفيف الحكم القضائي إلى السجن المؤبد.. إنهما أمران أحلاهما مرّ...

❖ في سجنه الصحراوي واسمه (نقرة السلمان) القريب من الحدود العراقية-السعودية ، أمضى وراء القضبان مدة من الزمن، وبعد ذلك نقل إلى سجن (الحلة)، الواقع في جنوب بغداد.

❖ في هذا السجن الرهيب الموحش، قام النواب هو ومجموعة من السجناء السياسيين، بحفر نفق من الزنزانة المظلمة، يؤدي إلى خارج أسوار السجن، فأحدث هروبه مع رفاقه ضجة مدوية في أرجاء العراق، والدول العربية المجاورة...

❖ بعد هروبه من السجن، توارى عن الأنظار في بغداد، وظل مختفياً فيها ستة أشهر، ثم توجه إلى الجنوب (الأهواز)، وعاش مع الفلاحين والبسطاء حوالي السنة. وفي سنة /١٩٦٩/ صدر عفو عام عن المعارضين السياسيين، فرجع إلى سلك التعليم مرة ثانية.

❖ عادت أغنية الشيطان مرة ثانية.. حيث حدثت اعتقالات جديدة في صفوف الشيوعيين، فتعرض مظفر النوّاب إلى الاعتقال مرة ثانية، إلاّ أن تدخل الرفيق البعثي علي صالح السعدي، قد أدى إلى إطلاق سراحه.

❖ غادر بغداد إلى بيروت في البداية، ومن ثم إلى دمشق، وراح ينتقل بين العواصم العربية والأوربية، واستقر به المقام أخيراً في دمشق.

❖ يبدو أن هذه التجربة الجديدة في حياته، تجربة إدمان التشرد، والتنقل المفاجئ بين الدول والقارات، أبعده عن الالتزام الحزبي والتنظيمي، لذلك كرس حياته لتجربته الشعرية الفذة، وتعميقها، وتأصيلها، والتصدي الواعي للأحداث السياسية والوطنية، التي تلامس بشفافية مفرطة بالأناقة وجدانه الذاتي وضميره الوطني.

obeikandi.com